بسم الله نبدأ

مقدمه :

لكي نفهم قصة إجلاء بني النضير والتي توجد أحداثها في سورة الحشر

عن سعيد بن جُبَير، قال: قلتُ لابن عباس: سورة الحشر؟ قال: قُل: سورة النَّضِير

فلابد من معرفة قصة سرية بئر معونه أولا لأنها أحد الأسباب الغير مباشرة التي سببها الله عز وجل لجلاء بني النضير كما سيتضح بعد ذلك

وأساس معرفة تلك السريه يجب معرفة الرجل الذي أتى لرسول الله من بئر معونه

وستجد في قصة بئر معونه معجزة حدثت لشهيد الإسلام عامر بن فهيرة الذي كان (مولى أبي بكر الصديق في مكة) والذي أسلم وهاجر الى المدينه

ويجب ان تعرف جزء من سيرة : **عمرو بن أمية الضمري**

كان عمرو بن أمية الضمري من أنجاد العرب ورجالها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه في أموره، وقد أرسله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة بكتابين، يدعوه في أحدهما إلى الإسلام، وقد أسلم وشهد شهادة الحق، وفي الكتاب الآخر يطلب منه زواج أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، إذا كان النجاشي وليها، حيث كانت أم حبيبة قد هاجرت إلى أرض الحبشة

هو أبو أمية الضمري الكناني :عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس

زوجته هي :سخيلة بنت عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي

روى ابن سعد أنه كان في جيش المشركين في غزوة أحد ثم أسلم بعد انصراف جيش المشركين من أحد وهو من أهل الحجاز من المدينة المنورة

وأيضًا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية ومعه سلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بن حرب وقال: "إن أصبتما منه غرة فاقتلاه!" فدخلا مكة ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلًا فرآه معاوية بن أبي سفيان فعرفه، فأخبر قريشًا بمكانه فخافوه وطلبوه، وكان فاتكًا في الجاهلية، وقالوا: لم يأت عمرو لخير، فحشد له أهل مكة وتجمعوا وهرب عمرو وسلمة، ثم لقي رسولين لقريش بعثتهما يتحسبان الخبر فقتل أحدهما وأسر الآخر، فقدم به المدينة، فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك

ابن سعد: الطبقات الكبرى

بداية سبب إجلاء بني النضيرهو احتياج أموال لدفع الدية ل((بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة))

التعريف بعامر بن مالك :هو أبو براء العامري ويلقب بملاعب الأسنة سيد بني عامر بن صعصعة هو عم عامر بن الطفيل والشاعر لبيد بن ربيعة العامريان

قدم أبو براء ، عَامِرُ بْنُ مَالِكِ بْن جَعْفَرِ (بْن كِلَابِ بْن رَبِيعَةَ)بْن عَامِرِ بْن صَعْصَعَةَ على رسول الله المدينة فعرض عليه رسول الله الإسلام ودعاه إليه ، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام ، وقال : يا محمّد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى نجد ، فادعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله : إنّي أخشى عليهم أهل نجد ، قال أبو براء : أنا لهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك ،

فبعث رسول الله المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين منهم الحارث بن الصمة

و

حرام بن ملحان (النجاري الأنصاري خال أنس بن مالك)

و **أم حرام** كانت محرما لرسول الله صلى الله عليه وسلم. واختلفوا في كيفية ذلك، فقال ابن عبد البر وغيره : كانت إحدى خالاته من الرضاعة. وقال آخرون : بل كانت خالة لأبيه أو لجده لأن عبد المطلب كانت أمه من بني النجار

وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي ونافع بن يزيد بن ورقاء الخزاعي و عامر بن فهيرة (مولى أبي بكر) وذلك في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من غزوة أحد فساروا حتى نزلوا **بئر معونة** وهي (ماء من مياه بني سليم وهو بين أرض بني عامر وحرة بني سليم)**في نجد** مع ملاحظة أن **نجد قديما يمثلها الآن(منطقة الرياض ومنطقة القصيم ومنطقة حائل)**

فلما نزلوها قال بعضهم لبعض أيكم يبلغ رسالة رسول الله أهل هذا الماء؟

فقال حرام بن ملحان: أنا ، فخرج بكتاب رسول الله إلى عامر بن الطفيل فقال حرام بن ملحان: يا أهل بئر معونة إني رسول الله إليكم إني أشهد أن

لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله

فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال حرام بن ملحان: الله أكبر فزت ورب الكعبة.

ثم استصرخ عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه وقالو: لن نخفر أبا براء قد عقد لهم عقدا وجوارا ثم استصرخ عليهم قبائل من بني سليم - عصية ورعلا وذكوان - فأجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق فارتث من بين القتلى فضلوه فيهم فعاش حتى قتل يوم الخندق

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من الأنصار أحد بني عمرو بن عوف فلم ينبههما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على المعسكر! فقال: والله إن لهذا الطير لشأنا فأقبلا لينظرا فإذا القوم في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال الأنصاري لعمرو بن أمية الضمري: ماذا ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله فنخبره فقال الأنصاري الله أكبر لكني ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل

وأخذوا عمرو بن أمية الضمري أسيرا فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل **وجز ناصيته** وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه.

كانت العرب **تجز ناصية** الأسير ليعلم أن ناصيته مُلكت وجزت ، وأول من سنها رجل يدعى سملقه بن مُرئ ،ومن جُزت ناصيته وهو شريف قومه مهلهل بن ربيعة وجزها له الحارث بن عباد وأحد أبناء الملوك المناذرة ، جز ناصيته أحد بني تميم حين انتصروا عليه

لَمَّا قُتِلَ الَّذِينَ ببِئْرِ مَعُونَةَ، وأُسِرَ عَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، قالَ له عامِرُ بنُ الطُّفَيْلِ: مَن هذا؟ فأشارَ إلى قَتِيلٍ، فقالَ له عَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ: هذا عامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ، فقالَ:

لقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدَ ما قُتِلَ رُفِعَ إلى السَّماءِ،

حتَّى إنِّي لَأَنْظُرُ إلى السَّماءِ بيْنَهُ وبيْنَ الأرْضِ، ثُمَّ وُضِعَ

، فأتَى النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ (خَبَرُهُمْ) في نفس الليله - بالوحي- فَنَعاهُمْ، فقالَ: إنَّ أصْحابَكُمْ قدْ أُصِيبُوا، وإنَّهُمْ قدْ سَأَلُوا رَبَّهُمْ، فقالوا: رَبَّنا أخْبِرْ عَنَّا إخْوانَنا بما رَضِينا عَنْكَ، ورَضِيتَ عَنَّا، فأخْبَرَهُمْ عنْهمْ،

وأُصِيبَ يَومَئذٍ فيهم عُرْوَةُ بنُ أسْماءَ بنِ الصَّلْتِ، فَسُمِّيَ عُرْوَةُ به، ومُنْذِرُ بنُ عَمْرٍو، سُمِّيَ به مُنْذِرًا.

الراوي : عروة بن الزبير | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم : ٤٠٩٣ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح

والمقصود انه تم تسمية أَخَوان (عروة والمنذر ابنا الزبير بن العوام)

على اسمي (عُرْوَةُ بنُ أسْماءَ بنِ الصَّلْتِ ومُنْذِرُ بنُ عَمْرٍو)

ملحوظه نحويه : قل : أَخَوان (مثنى أخ) ، ولا تقل : أخّان.

عن محمد بن مسلم الزهري عن عروة بن الزبير، قال: «طُلب عامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ يومئذ في القتلى فلم يوجد، فيرون أن الملائكة دفنته». وأورد ابن إسحاق في سيرته عن هشام بن عروة عن أبيه أن قاتله جبار بن سلمى شهد صعود جثته إلى السماء، فكانت سببًا لإسلامه

فأقبل عمرو بن أُميّة إلى المدينة ولقى في مسيره رجلين من بني عامر

وقد سألهما ممّن أنتما ؟ فقالا : من (بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) وكان مع العامريين عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار ،لم يعلم به عمرو بن أمية فأمهلهما حتّى إذا ناما ،

عدى عليهما فقتلهما وهو يرى أنّه أصاب بهما الثأر من بني عامر ،

فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ، فلمّا قدم عمرو بن أُميّة على رسول الله فأخبره الخبر ، قال رسول الله لعمرو الضمري : لقد قتلت قتيلين **لأُدِينهما**. **هذا عمل أبي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا»**

لأُدِينهما :أي لأدفع ديّتهما ، و وجهه : إنّ قتل المسلمين وقع بقبيلة بني سليم وليس ببني عامر ، فإنّهم وإن لم يدافعوا عن المسلمين وخذلوهم ، ولكنّهم لم يشتركوا في مقاتلتهم ،

فكان قتل هذين الرجلين بلا ظلامة اقترفاها ، و هذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ الرسول كان يقوم بالعدل ولايأخذه في ذلك شيء من الأهواء.

فبلغ ذلك أبا البراء فشق عليه إخفار عامر إياه وما أصاب رسول الله بسببه وبجواره

وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف

فخرج رسول الله إلى بني النضير يستعينهم في ديّة ذينك القتيلين من « بني عامر » اللذين قتلهما عمرو بن أُميّة الضمري

فلمّا أتاهم رسول الله يستعينهم في أداء الديّة ، قال يهود بني النضير : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أجبت ممّا استعنت بنا عليه ، ثمّ خلا يهود بني النضير بعضهم ببعض فقالوا : إنّكم لن تجدوا الرجل(يقصدون رسول الله) على مثل حالته هذه ، ورسول الله إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد ، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيرحنا منه ؟ فانتبذ لذلك **عمرو بن جحاش بن كعب** فصعد ليلقي **عليه صخرة** ورسول الله في نفر من أصحابه.

عن موسى بن عقبة، قال: هذا حديثُ رسول الله ﷺ حين خرج إلى بني النَّضِير يستعينهم في **عقْل الكِلابيَّيْن (دية** من قتلهم عمرو الحضرمي من بني عامر)، وكانوا بنو النضير قد دَسُّوا إلى قريش حين نزلوا بأُحد لقتال رسول الله ﷺ، فحضّوهم على القتال، ودلّوهم على العورة، فلما كلّمهم رسول الله ﷺ في عقْل الكِلابِيَّيْن قالوا: اجلس -يا أبا القاسم- حتى تَطْعَم، وترجع بحاجتك، ونقوم فنتشاور، ونُصلِح أمرنا فيما جئتنا له، فجلس رسول الله ﷺ ومَن معه مِن أصحابه في ظِلّ جدارٍ ينتظرون أن يُصلحوا أمرهم، فلمّا خَلَوا -والشيطان معهم- ائتمروا بقتْل رسول الله ﷺ، فقالوا: لن تجدوه أقرب منه الآن، فاستريحوا منه تأمَنوا في دياركم، ويُرفع عنكم البلاء. فقال رجل منهم: إن شئتم ظهرتُ فوق البيت الذي هو تحته، فدَلّيتُ عليه حجرًا، فقتلتُه. وأوحى اللهُ □ إليه، فأخبره بما ائتمروا به مِن شأنهم، فعصَمه الله □، وقام رسول الله ﷺ كأنه يريد أن يقضي حاجة، وتَرك أصحابه في مجلسهم، وانتظره أعداء الله، فراثَ عليهم، فأقبل رجلٌ مِن المدينة، فسألوه عنه، فقال: لَقيته قد دخل أزِقّة المدينة، فقالوا لأصحابه: عَجل أبو القاسم أن يُقيم أمرنا في حاجته التي جاء لها. ثم قام أصحاب رسول الله ﷺ، فرجعوا، ونزل القرآن، والله أعلم بالذي أراد أعداء الله، فأخبر الله نبيَّه ما أرادوا به. فقال فأمسك الله عنها أيديهم حتى جاء جبريل عليه السلام فأقامه مِنْ ثَمَّ، فأنزل الله - عز وجل :-

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [ابن جرير في تفسيره (٦/١٤٤ - ١٤٥)].
المائدة:١١]. فلمّا أظهر اللهُ رسولَه ﷺ على ما أرادوا به وعلى خيانتهم أمر الله رسولَه ﷺ بإجلائهم، وإخراجهم مِن ديارهم، سجَّلت معظمُ كتب السِّيرة النَّبويَّة، خبرَ إنذار النَّبيِّ عليه الصلاة والسلام لبني النَّضير بالجلاء خلال عشرة أيام، وقد أرسل عليه الصلاة والسلام

محمَّدَ بن مسلمة رضي الله عنه إليهم، وقال له: اذهبْ إلى يهود بني النَّضير، وقل لهم: إنَّ رسولَ الله عليه الصلاة والسلام أرسلني إليكم أن اخرجوا من بلادي؛ لقد **نقضتُم العهد** الَّذي جعلت لكم **ممَّا هممتم به من الغدْر**، وقد أجَّلتُكم عشراً، فمن رُئي بعدُ منكم ضربتُ عنقَه. ولم يجدوا جواباً يردُّون به سوى أن قالوا لمحمَّد بن مسلمة: يا محمد! ما كنَّا نظن أن يجيئنا بهذا رجلٌ من الأوس! فقال محمَّد: تغيَّرت القلوب، ومحا الإسلامُ العهود. فقالوا: نتحمَّل؛ فمكثوا أياماً يُعِدُّون العدَّة للرَّحيل.

وفي تلك المدَّة أرسل إليهم عبد الله بن أُبيِّ بن سلول مَنْ يقول لهم: اثبتُوا، وتَمَنَّعُوا؛ فإنَّا لن نُسْلِمَكم، وإن قُوتلتم؛ قاتلنا معكم، وإن أُخرجتم خرجنا معكم، ولا تخرجوا فإنَّ معي من العرب، وممَّن انضوى إلى قومي ألفين، فأقيموا، فهم يدخلون معكم حصونكم، ويموتون عن آخرهم قبل أن يَصِلُوا إليكم. فعادت لليهود بعضُ ثقتهم، **وتشجَّعَ كبيرُهم (حُيي بن أخطب)** وأرسل إلى النَّبيِّ عليه الصلاة والسلام جُدَي بن أخطب يقول له: إنَّا لن نرِيمَ - أي: لن نبرح - دارنا، **فاصنعْ ما بدا لك!**

فكبر رسولُ الله عليه الصلاة والسلام، وكبَّر المسلمون معه، وقال: حاربت يهود.

فمضى النبيُّ ﷺ لأمْر الله تعالى فيهم، فأمَر أصحابَه، فأخذوا السلاح، ثم مضى إليهم، وتحصّنت اليهود في دُورهم وحصونهم، فلمّا انتهى رسولُ الله ﷺ إلى أزِقّتهم وحصونهم كره أن يُمكّنهم من القتال في دُورهم وحصونهم، وحفظ الله له أمره، وعَزم على رُشده،

فأمر بالأدنى فالأدنى مِن دُورهم أن تُهدم، وبالنّخل أن تُحرق وتُقطع، وكفّ الله تعالى أيديهم وأيدي المنافقين فلم ينصروهم، وألقى الله في قلوب الفريقين كلاهما الرّعب، ثم جعلت اليهود كُلّما خلَص رسول الله ﷺ مِن هدْم ما يلي مدينته ألقى الله في قلوبهم الرّعب،

فهَدموا الدُّور التي هم فيها مِن أدبارها، ولم يستطيعوا أن يَخرجوا على النبي ﷺ وأصحابه يَهدِمون ما أتَوا عليه الأول فالأول، فلّما كادت اليهود أن تبلغ آخر دُورها وهم ينتظرون المنافقين وما كانوا مَنَّوهم، فلمّا يئِسوا مِمّا عندهم سألوا رسول الله ﷺ الذي كان عَرض عليهم قبل ذلك، فقاضاهم رسولُ الله ﷺ على أن يُجْلِيَهم ولهم أن يتَحمّلوا بما استَقَلّت به الإبل مِن الذي كان لهم، إلا ما كان من حَلْقَة أو سلاح، فطاروا كلّ مطير، وذهبوا كلّ مذهب، ولحق بنو أبي الحقيق معهم آنية كثيرة مِن فِضّة، قد رآها النبي ﷺ وأصحابه والمسلمون حين خرجوا

بها، وعَمد حُييّ بن أخطَب حين قدم مكة على قريش، فاستغْواهم على رسول الله ﷺ، واستنصرهم، وبيّن الله لرسوله ﷺ حديث أهل النّفاق وما بينهم وبين اليهود،

ونقض اليهود سُقُفَ بيوتهم، وعَمُدَها، وجدرانها لكي لا ينتفع منها المسلمون. وحملوا معهم كمياتٍ كبيرةً من الذّهب، والفضّة، حتّى إن سلاّم بن أبي الحُقَيْق وحده حمل جلدَ ثورٍ مملوءً ذهباً، وفضّةً، وكان يقول: هذا الّذي أعددناه لرفع الأرض، وخفضها، وإن كنّا تركنا نخلاً ففي خيبر النّخل. وحملوا أمتعتهم على ستمئة بعيرٍ، وخرجوا ومعهم الدُّفوف، والمزامير، والقيان يعزفن من خلفهم حتّى لا يشمت بهم المسلمون، فقصد بعضهم خيبر، وسار آخرون إلى أذرعات الشّام. ولم يسلم منهم إلا (يامين بن عمير) و(أبو سعيد بن وهب) فأحرزا أموالهما.

ذكر قصة إجلاء بني النضير كما جائت في سورة الحشر مع دروس مستفادة من ذلك :

١-الثناء على الله وتمجيده:

ابتدأت السُّورة بالثّناء على الله، وأن الكون كلَّه بجميع ما فيه من مخلوقاتٍ؛ من إنسانٍ، وحيوانٍ، ونباتٍ، وجمادٍ، ينزّه الله، ويمجّده، ويشهد بوحدانيته، وقدرته، وجلاله، وناطقٌ بعظمته، وسلطانه. قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ١].

كان استفتاح هذه السُّورة بالإخبار أنَّ جميع ما في السَّموات، والأرض، يسبّح بحمد ربه، وينزّهه عمَّا لا يليق بجلاله، ويعبده، ويخضع لعظمته؛ لأنَّه العزيز، الّذي قهر كلَّ شيءٍ، فلا يمتنع عليه شيءٌ و الحكيم في خلقه، وأمره، فلا يخلق شيئاً عبثاً،

ولا يُشرّع ما لا مصلحة فيه، ومن ذلك نصره لرسوله عليه الصلاة والسلام على الّذين كفروا من أهل الكتاب، من بني النَّضير، حين غدروا برسوله عليه الصلاة والسلام، فأخرجهم مِنْ ديارهم، وأوطانهم الّتي ألفوها، وأحبُّوها.

٢-الرُّعب جنديٌّ من جنود الله:

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الأَبْصَارِ * وَلَوْلاَ أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاَءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٢ - ٤].

إنَّ المتأمِّل في هذه الآيات الكريمة يتبيَّن له: أنَّ الله هو الّذي أخرج يهود بني النَّضير من ديارهم إلى الشَّام حيث أول الحشر،: وذلك أنّ أكثر بني النَّضير جاءت إلى الشام.

وقد رُوي: أنّ حشر القيامة هو إلى بلد الشام، وأنّ النبي ﷺ**قال** لبني النضير» :**اخرجوا** .« قالوا: إلى أين؟ قال» :**إلى أرض المَحْشَر**« في الوقت الذي كانت فيه كلّ الأسباب المادِّيَّة مع يهود بني النضير ؛ حتى إنَّهم اعتقدوا: أنَّه لا أحدَ يستطيع أن يخرجهم من حصونهم لمتانتها، وقوَّتها. **لكنّ الله خالق الأسباب، والمسبَّبات، جاءهم من حيث لم يحتسبوا، جاءهم من قلوبهم الّتي لم يتوقّعوا: أنّهم يهزمون بها،**

فقذف فيها الرُّعب، فإذا بهم يهدمون بيوتهم بأيديهم، وأيدي المؤمنين،

وهذا الأسلوب القرآنيُّ الفريد يربّي الأمَّة بالأحداث، والوقائع، ويمتاز بأنَّه يكشف الحقائق، ويوضّح الخفايا، ويربط الأحداث بفاعلها الحقيقيّ، وهو ربُّ العالمين،

ومن ذلك أنَّها بيَّنت:
أنَّ الذي أخرج بني النَّضير هو الله جلَّ جلاله: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾.
واستمرت الآية الكريمة تبيّن: أنَّ يهود بني النَّضير حسبوا كلَّ شيءٍ، وأحاطوا بجميع الأسباب الأرضيَّة؛ لكن جاءتهم الهزيمة من مكانٍ اطمأنوا إليه، وهو أنفسهم،
فإذا الرُّعب يأتي من داخلهم، فإذا بهم ينهارون في أسرع لحظةٍ،

لذلك يجب
على كل إنسانٍ عاقلٍ أن يعتبر بهذه الغزوة، وأن يعرف: أنَّ الله هو المتصرّف في الأمور، وأنَّه لا تقف أمام قدرته العظيمة الأسباب، ولا المسبَّبات،
فهو القادر على كلِّ شيءٍ؛ فعلى الناس أن يؤمنوا به تعالى، ويصلحوا أمرهم،
فإذا اتَّبعوا أمر الله، أصلح الله لهم كلَّ شيءٍ، وأخرج أعداءهم من حيث لم يحتسبوا.
إنَّ هذه الغزوة درسٌ للأمَّة في جميع عصورها، تذكِّرهم أنَّ طريق النَّصر قريبٌ،
وهو الرُّجوع إلى الله والاعتماد عليه، والتَّسليم لشريعته، وتقديره حقَّ قدره،
فإذا عرف ذلك المؤمنون، نصرهم الله، ولو كان عدوُّهم قويّاً، وكثيراً؛
فإن الله لا يعجزه شيء، وأقرب شاهدٍ واقعيّ لذلك هو إجلاء بني النَّضير،
وهي عبرةٌ، فليُعتبر بها، والسَّعيدُ مَنِ اعتبر بغيره!
ثمَّ أوضح سبحانه: أنَّه لو لم يعاقبهم بالجلاء (والجلاء: إخراجهم مِن أرضهم إلى أرضٍ أخرى)؛ لعذَّبهم في الدُّنيا بالقتل، أما في الآخرة، فلهم عذابُ النَّار.

٣- تخريب ممتلكات الأعداء:

لـمَّا نزل رسول الله عليه الصلاة والسلام بجيشه، وحاصر بني النَّضير تحصَّنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام بقطع النَّخل، والتَّحريق فيها،
فنادوه يا محمد! قد كنتَ تنهى عن الفساد، وتعيبه على مَنْ صنعه،
فما بال قطع النَّخل، وتحريقها؟،
فأنزل الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥]. اللِّينة: النّخلة (نخل صُفْرٌ كهيئة الدَّقَلِ و الدَّقَل من النخل يقال لها الألوان واحدها لَوْن؛ قال الأزهري: وتَمْر الدَّقَل رديء)
وقد توسَّع الشَّيخ محمَّد أبو زهرة في شرح هذه الآية،
فقال ما ملخَّصه بعد أن ساق اراءَ الفقهاء في ذلك: والذي ننتهي إليه بالنِّسبة لما يكون في الحرب مِنْ هدمٍ، وتحريقٍ، وتخريبٍ: أنه يُستفاد من مصادر الشَّريعة، وأعمال النَّبيِّ عليه الصلاة والسلام في حروبه:
-أنَّ الأصل هو عدم قطع الشَّجر، وعدم تخريب البناء؛ لأنَّ الهدف من الحرب ليس إيذاءَ الرَّعية، ولكن دفع أذى الرَّاعي الظالم، وبذلك وردت الآثار.
-أنَّه إذا تبيَّن: أنَّ قطع الشَّجر، وهدم البناء توجبه ضرورةٌ حربيَّة لا مناص منها؛ كأن يستتر العدوُّ به، ويتَّخذه وسيلة لإيذاء جيش المؤمنين؛ فإنَّه لا مناصَ من قطع الأشجار، وهدم البناء؛ على أنَّه ضرورةٌ من ضرورات القتال، كما فعل النَّبيُّ عليه الصلاة والسلام هنا، وفي حصن ثَقِيف.

-أنَّ كلام الفقهاء الَّذين أجازوا الهدم، والقلع يجب أن يُخرَّج على أساس هذه الضَّرورات، لا على أساس إيذاء العدوّ، والإفساد المجرَّد، فالعدوُّ ليس الشَّعب، إنَّما العدوُّ هم الَّذين يحملون السِّلاح؛ ليقاتلوا.

وليخزي الفاسقين) أي ليذل اليهود، ويغيظهم، في قطعه النخل وتركه لأنهم إذا رأوا المؤمنين يتحكمون في أموالهم كيف شاؤوا، من القطع والترك ازدادوا غيظاً

٤- تقسيم الغنائم والفيء على أهل المسلمين طبقا للشريعه الإسلاميه :

بيَّن - سبحانه وتعالى - حكم الأموال الَّتي أخذها المسلمون من بني النَّضير بعد أن تمَّ إجلاؤهم، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحشر: ٦].

وبيَّن - سبحانه وتعالى -: أن الأموال الَّتي عادت إلى المسلمين من بني النَّضير، قد تفضَّل بها عليهم بدون قتالٍ شديدٍ، وذلك لأنَّ المسلمين مَشَوْا إلى أعدائهم، ولم يركبوا خيلاً، ولا إبلاً، وافتتحها عليه الصلاة والسلام صلحاً، وأجلاهم، وأخذ أموالهم، ووضعها حيث أمره الله؛ فقد «كانت أموال بني النَّضير ممَّا أفاء الله على رسوله ممَّا لم يُوجف عليه المسلمون بخيلٍ، ولا ركابٍ، فكانت للنَّبيّ عليه الصلاة والسلام خاصَّةً، فكان ينفق على أهله نفقةَ سنةٍ، وما بقي يجعله في الكُرَاع والسِّلاح عُدَّةً في سبيلِ الله» [البخاري (٤٠٣٣)، ومسلم [(1757)

﴿فَما أَوْجَفْتُمْ﴾ يُقالُ **وجَفَ** الفَرَسُ والبَعِيرُ وهو **سُرْعَةُ السَّيْرِ**، وأَوْجَفَهُ صاحِبُهُ إذا حَمَلَهُ عَلى السَّيْرِ السَّرِيعِ. ﴿مِن خَيْلٍ ولا رِكابٍ﴾ الرِّكابُ ما يُرْكَبُ مِنَ الإبِلِ، واحِدَتُها راحِلَةٌ، ولا واحِدَ لَها مِن لَفْظِها، والعَرَبُ لا يُطْلِقُونَ لَفْظَ الرّاكِبِ إلّا عَلى راكِبِ البَعِيرِ، ويُسَمُّونَ راكِبَ الفَرَسِ فارِسًا.

ومراعاة أن (ما) نافية ﴿فَما أَوْجَفْتُمْ عليه﴾ **نفي الوجف** في غزوة بني النضير

(عليه): جار ومجرور (متعلق بأوجفتم) اي فما اجهدتم في تحصيله او اسرعتم على الفيء.

)ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) أي سنته تعالى جارية على أن يسلطهم على من يشاء من أعدائه تسلطاً غير معتاد، من غير أن يقتحموا مضايق الخطوب، ويقاسوا شدائد الحروب، وفي هذا بيان أن تلك الأموال كانت خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبقا لإرادة الله في تسليط الرسل بقوته وقدرته واعجازه

ثمَّ بيَّن المولى - عزَّ وجل - **أحكام الفيء في قرى الكفار عامَّة**،

فقال الله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧].

وكان فيء بني النَّضير خالصاً لرسول الله عليه الصلاة والسلام، ولهذا تصرَّف فيه - أي: الفيء - كما يشاء، فردَّه على المسلمين في وجوه البرّ،

والمصالح الَّتي ذكرها الله - عزَّ وجلَّ - في هذه الآيات.

ومَعْنى الآيَةِ أنَّ الصَّحابَةَ طَلَبُوا مِنَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أنْ يُقَسِّمَ الفَيْءَ بَيْنَهم كَما قَسَّمَ الغَنِيمَةَ بَيْنَهم، فَذَكَرَ اللَّهُ الفَرْقَ بَيْنَ الأمْرَيْنِ، وهو أنَّ الغَنِيمَةَ ما أتْعَبْتُمْ أنْفُسَكم في تَحْصِيلِها وأوْجَفْتُمْ عَلَيْها الخَيْلَ والرِّكابَ، بِخِلافِ الفَيْءِ فَإنَّكم ما تَحَمَّلْتُمْ في تَحْصِيلِهِ تَعَبًا، فَكانَ الأمْرُ

فِيهِ مُفَوَّضًا إلى الرَّسُولِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشاءُ. هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ وقُراهم، ولَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ كَثِيرُ خَيْلٍ ولا رِكابٍ، ولَمْ يَقْطَعُوا إلَيْها مَسافَةً كَثِيرَةً،
هي ملاصقة لإحدى قرى الأنصار التي المدينة اسم لها كلها، وهي (قرية بني عمرو بن عوف في قباء) بينهما وبين القرية [التي] كان رسول الله نازلا بها نحو ميلين فَمَشَوْا إلَيْها مَشْيًا، ولَمْ يَرْكَبْ إلّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وكانَ راكِبَ جَمَلٍ، فَلَمّا كانَتِ المُقاتَلَةُ قَلِيلَةً والخَيْلُ والرَّكْبُ غَيْرَ حاصِلٍ، أجْراهُ اللَّهُ تَعالى مَجْرى ما لَمْ يَحْصُلْ فِيهِ المُقاتَلَةُ أصْلًا، فَخَصَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتِلْكَ الأمْوالِ،

فخص سبحانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأموال بني النضير يضعها حيث يشاء لأنها فيء فقال: وما أفاء الله أي (رد الملك الذي له الأمر كله ردا سهل) بعد أن كان فيما يظهر في غاية العسر والصعوبة على رسوله فصيره في يده بعد أن كان خروجه عنها بوضع أيدي الكفار عليه ظلما وعدوانا كما دل عليه التعبير بالفيء الذي هو عود الظل إلى الناحية التي كان ابتدأ منها منهم أي ردا مبتدئا من الفاسقين، فبين أن هذا فيء لا غنيمة، ويدخل في الفيء أموال من مات منهم عن غير وارث وكذا الجزية، وأما الغنيمة فهي ما كان بقتال وإيجاف خيل وركاب.
ووُضِعَ " أهْلُ القُرى " بدلا من قَوْلِهِ: " مِنهم "، أيْ: مِن بَنِيَ النَّضِيرِ
لِلْإشْعارِ بِأنَّ هَذا الحُكْمَ لا يَخْتَصُّ بِبَنِي النَّضِيرِ وحْدَهم، بَلْ هو حُكْمٌ عَلى كُلِّ قَرْيَةٍ يَفْتَحُها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صُلْحًا ولَمْ يُوجِفْ عَلَيْها المُسْلِمُونَ بِخَيْلٍ ولا رِكابٍ.
ثُمَّ رُوِيَ أنَّهُ قَسَّمَها بَيْنَ المُهاجِرِينَ، ولَمْ يُعْطِ الأنْصارَ مِنها شَيْئًا إلّا ثَلاثَةَ نَفَرٍ كانَتْ بِهِمْ حاجَةٌ، وهم: أبُو دُجانَةَ، وسَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ، والحارِثُ بْنُ الصِّمَّةِ.
ولـمَّا غنم عليه الصلاة والسلام أموال بني النَّضير؛ دعا ثابت بن قيس، فقال:
«ادعُ لي قومك»، قال ثابت: الخزرج؟ فقال عليه الصلاة والسلام : «الأنصارُ كلُّها»
فدعا له الأوس، والخزرج، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهلُه،
ثمَّ ذكر الأنصار، وما صنعوا بالمهاجرين، وإنزالهم إيَّاهم في منازلهم، وأموالهم،
وأثرتهم على أنفسهم، ثمَّ قال: «إن أحببتُم قسمتُ بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليَّ من بني النَّضير - وكان المهاجرون على ما هم عليه من السُّكنى في منازلكم، وأموالكم - وإن أحببتم أعطيتُهم، وخرجوا من دوركم». [الحاكم في الإكليل كما في فتح الباري - 7/422)
.](423فقال سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ: يا رسولَ الله! بل تقسم بين المهاجرين،
ويكونون في دورنا، كما كانوا، وقالت الأنصار: رضينا وسلَّمنا يا رسول الله!
وقسم ما أفاء الله، وأعطى المهاجرين ولم يعطِ أحداً من الأنصار شيئاً،
غير أبي دُجَانة، وسَهْل بن حُنَيفُ لحاجتهما [ابن هشام[(3/201/202) ،
ومع أنَّه عليه الصلاة والسلام يعلم: أنَّ الفيء كان خاصَّاً له، إلا أنَّه جمع الأنصار،
وسألهم عن قسمة الأموال لتطييب نفوسهم،
وهذا من الهدي النَّبويّ الكريم في سياسة الأمور.
وكانت الغايةُ من هذا التَّوزيع، تخفيفَ العبء عن الأنصار،
وهكذا انتقل المهاجرون إلى دُور بني النَّضير، وأُعيدت دُورُ الأنصار إلى أصحابها،
واستغنى بعض المهاجرين ممَّا يمكن أن يقال فيه: إنَّ الأزمة قد بدأت بالانفراج.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: أَيُّمَا حَصَلَ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ كَانَ يُقْسَمُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ سَهْمًا: عِشْرُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَفْعَلُ فِيهَا مَا يَشَاءُ. وَالْخُمُسُ يُقْسَمُ عَلَى مَا يُقْسَمُ عَلَيْهِ خُمُسُ الغنيمة. وَيُقْسَمُ كُلُّ مَالٍ فِي الْبَلَدِ الَّذِي جُبِيَ فِيهِ، وَلَا يُنْقَلُ عَنْ ذَلِكَ الْبَلَدِ الَّذِي جُبِيَ فِيهِ حَتَّى يَغْنَوْا، ثُمَّ يُنْقَلُ إِلَى الْأَقْرَبِ مِنْ غَيْرِهِمْ، إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ بِغَيْرِ الْبَلَدِ الَّذِي جُبِيَ فِيهِ فَاقَةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَنْتَقِلَ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْفَاقَةِ حَيْثُ كَانُوا، كَمَا فَعَلَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أَعْوَامِ الرَّمَادَةِ، وَكَانَتْ خَمْسَةَ أَعْوَامٍ أَوْ سِتَّةً.

تاريخيا : أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا إِذَا غَنِمُوا أَخَذَ الرَّئِيسُ رُبُعَهَا لِنَفْسِهِ، وَهُوَ الْمِرْبَاعُ. ثُمَّ يَصْطَفِي مِنْهَا أَيْضًا بَعْدَ الْمِرْبَاعِ مَا شَاءَ

العلَّةَ في ذلك في قوله تعالى: كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧]

﴿ أي: لكي لا يكونَ تداولُ المالِ محصوراً فيما بين طبقة الأغنياء منكم فقط،

(كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ) الدُّولَةُ اسْمٌ لِلشَّيْءِ الَّذِي يَتَدَاوَلُهُ الْقَوْمُ بَيْنَهم يَكُونُ كَذا مَرَّةً وكَذا مَرَّةً، والدَّوْلَةُ بِالفَتْحِ انْتِقالُ حالٍ سارَّةٍ إِلى قَوْمٍ عَنْ قَوْمٍ

فالدُّولَةُ اسْمٌ لِما يُتَداوَلُ مِنَ المالِ، والدُّولَةُ اسْمٌ لِما يَنْتَقِلُ مِنَ الحالِ، ومَعْنى الآيَةِ كَيْ لا يَكُونَ الفَيْءُ الَّذِي حَقُّهُ أنْ يُعْطى لِلْفُقَراءِ؛ لِيَكُونَ لَهم بُلْغَةً يَعِيشُونَ بِها واقِعًا في يَدِ الأغْنِياءِ ودُولَةً لَهم.

عَقَّبَ سبحانه بأمر المسلمين بأن يأخذوا ما أتى به الرَّسول عليه الصلاة والسلام،

وأن ينتهوا عمَّا نهاهم عنه، وأنَّ هذا من لوازم الإيمان، وأمرهم بالتَّقوى، فإنَّ عقابه شديدٌ، وأليمٌ للعُصاة، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧].

قَوْلِهِ تَعَالَى: وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا هَذَا يُوجِبُ أَنَّ كُلَّ مَا أُمِرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. وَالْآيَةُ وَإِنْ كَانَتْ فِي الْغَنَائِمِ فَجَمِيعُ أَوَامِرِهِ ﷺ وَنَوَاهِيهِ دَخَلَ فِيهَا . وَقَالَ الْحَكَمُ بْنُ عُمَيْرٍ- وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ- قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

وَحَدِيثِي صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ وَهُوَ الْحُكْمُ فَمَنِ اسْتَمْسَكَ بِحَدِيثِي وَحَفِظَهُ نَجَا مَعَ الْقُرْآنِ.

وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالْقُرْآنِ وَحَدِيثِي خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ. وَأُمِرْتُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِقَوْلِي وَتَكْتَنِفُوا أَمْرِي وَتَتَّبِعُوا سُنَّتِي فَمَنْ رَضِيَ بِقَوْلِي فَقَدْ رَضِيَ بِالْقُرْآنِ وَمَنِ اسْتَهْزَأَ بِقَوْلِي فَقَدِ اسْتَهْزَأَ بِالْقُرْآنِ

٥- فَضْلُ المهاجرين والأنصار، والتَّابعين لهم بإحسان:

فَضْلُ المهاجرين: بيَّنت الآيات الكريمةُ في سورة الحشر، فضلَ المهاجرين على غيرهم، فهم لهم الدَّرجة الأولى، فقد اشتملت الآيات على أوصافهم الجميلة، وشهد الله لهم بالصِّدق، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا وهو يَتَنَاوَلُ بَعْضَ المُهاجِرِينَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ ﴿لِلْفُقَراءِ المُهاجِرِينَ﴾ الآيَةَ، ثُمَّ قالَ: هَؤُلاءِ المُهاجِرُونَ أفَمِنهم أنْتَ ؟ قالَ: لا، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ ﴿والَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدّارَ والإيمانَ﴾ الآيَةَ. ثُمَّ قالَ: هَؤُلاءِ الأنْصارُ أفَأنْتَ مِنهم ؟ قالَ: لا، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ ﴿والَّذِينَ جاءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾ الآيَةَ، ثُمَّ قالَ: أفَمِن هَؤُلاءِ أنْتَ ؟ قالَ: أرْجُو، قالَ: لَيْسَ مِن هَؤُلاءِ مَن سَبَّ هَؤُلاءِ.

وقال ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما -: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول» :

إذا رأيتم الَّذين يسُبُّونَ أصْحَابِي فقُولُوا: لَعَنَ اللَّه شَرَّكُم. «

فَضْلُ الأنصار: وَضَّحَت الآيات فضلَ الأنصار، وقد وصفهم الله بهذه الصفات، قال تعالى:
﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

والمُرادُ مِنَ الدّارِ المَدِينَةُ، وهي دارُ الهِجْرَةِ، تَبَوَّأها الأنْصارُ قَبْلَ المُهاجِرِينَ، وتَقْدِيرُ الآيَةِ: والَّذِينَ تَبَوَّءُوا المَدِينَةَ والإيمانَ مِن قَبْلِهِمْ (فَإنْ قِيلَ) في الآيَةِ سُؤالانِ:
أحَدُهُما: أنَّهُ لا يُقالُ: تَبَوَّأ الإيمانَ.
والثّانِي: بِتَقْدِيرِ أنْ يُقالَ ذَلِكَ، لَكِنَّ الأنْصارَ ما تَبَوَّءُوا الإيمانَ قَبْلَ المُهاجِرِينَ.
الجواب :
الأوَّلُ: أنَّ الكَلامَ عَلى التَّقْدِيمِ والتَّأْخِيرِ، والتَّقْدِيرُ: والَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدّارَ مِن قَبْلِهِمْ والإيمانَ.
والثّانِي: أنَّهُ عَلى تَقْدِيرِ حَذْفِ المُضافِ، والتَّقْدِيرُ: تَبَوَّءُوا الدّارَ والإيمانَ مِن قَبْلِ هِجْرَتِهِمْ.
ومعنى (من قبلهم) أسلموا في ديارهم، وآثروا الإيمان وابتنوا المساجد قبل هجرة المهاجرين، وقبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين، فلا بد من تقدير مضاف
﴿وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾
وقالَ الحَسَنُ: أيْ حَسَدًا وحَرارَةً وغَيْظًا مِمّا أُوتِيَ المُهاجِرُونَ مِن دُونِهِمْ،
وأطْلَقَ لَفْظَ الحاجَةِ عَلى الحَسَدِ والغَيْظِ والحَرارَةِ؛ لِأنَّ هَذِهِ الأشْياءَ لا تَنْفَكُّ عَنِ الحاجَةِ ﴿ويُؤْثِرُونَ عَلى أنْفُسِهِمْ ولَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ»﴾ فَبَيَّنَ أنَّ هَذا الإيثارَ لَيْسَ عَنْ غِنًى عَنِ المالِ، ولَكِنَّهُ عَنْ حاجَةٍ وخَصاصَةٍ وهي الفَقْرُ، وأصْلُها مِنَ الخَصاصِ وهي الفُرَجُ، وكُلُّ خَرْقٍ في مُنْخُلٍ أوْ بابٍ أوْ سَحابٍ أوْ بُرْقُعٍ فَهي خَصاصٌ، الواحِدُ خَصاصَةٌ، وذَكَرَ المُفَسِّرُونَ أنْواعًا مِن إيثارِ الأنْصارِ لِلضَّيْفِ بِالطَّعامِ وتَعَلُّلِهِمْ عَنْهُ حَتّى يُشْبِعَ الضَّيْفَ،
عن أبي هريرة قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً فقال: ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله؟ فقال رجل من الأنصار، وفي رواية: فقال أبو طلحة الأنصاري: أنا يا رسول الله، فذهب به إلى أهله فقال لامرأته أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخريه شيئاً، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليل لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلت، ثم غدا الضيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لقد عجب الله من فلان وفلانة وأنزل الله فيها " هذه الآية
ثُمَّ ذَكَرُوا أنَّ الآيَةَ نَزَلَتْ في ذَلِكَ الإيثارِ، ومن ضمن الأسباب أيضا موقف الأنصار هنا من المهاجرين أنَّها نَزَلَتْ بِسَبَبِ إيثارِهِمُ المُهاجِرِينَ بِالفَيْءِ
﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾
الفَرْقَ بَيْنَ الشُّحِّ والبُخْلِ هو أنَّ البُخْلَ نَفْسُ المَنعِ، والشُّحَّ هو الحالَةُ النَّفْسانِيَّةُ الَّتِي تَقْتَضِي ذَلِكَ المَنعَ، فَلَمّا كانَ الشُّحُّ مِن صِفاتِ النَّفْسِ، لا جَرَمَ قالَ تَعالى :﴿ومَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ الظّافِرُونَ بِما أرادُوا، قالَ ابْنُ زَيْدٍ: مَن لَمْ يَأْخُذْ شَيْئًا نَهاهُ اللَّهُ عَنْ أخْذِهِ ولَمْ يَمْنَعْ شَيْئًا أمَرَهُ اللَّهُ بِإعْطائِهِ فَقَدْ وُقِيَ شُحَّ نَفْسِهِ. وأخْرَجَ أحْمَدُ، والبُخارِيُّ في الأدَبِ ومُسْلِمٌ، والبَيْهَقِيُّ عَنْ جابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يَوْمَ القِيامَةِ، واتَّقُوا الشُّحَّ فَإنَّ الشُّحَّ أهْلَكَ مَن كانَ قَبْلَكم، حَمَلَهم عَلى أنْ سَفَكُوا دِماءَهم واسْتَحَلُّوا مَحارِمَهم.

فَضْلُ التَّابعين لهم بإحسان: وهم المتتبّعون لآثارهم الحسنة، وأوصافهم الجميلة، الدَّاعون في السِّرّ، والعلانية لإخوانهم الَّذين سبقوهم بالإيمان. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿والَّذِينَ جاءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾ عَطْفٌ أيْضًا عَلى المُهاجِرِينَ وهُمُ الَّذِينَ هاجَرُوا مِن بَعْدُ، وقِيلَ: التّابِعُونَ بِإحْسانٍ وهُمُ الَّذِينَ يَجِيئُونَ بَعْدَ المُهاجِرِينَ والأنْصارِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ، وذَكَرَ تَعالى أنَّهم يَدْعُونَ لِأنْفُسِهِمْ ولِمَن سَبَقَهم بِالإيمانِ،

وهو قَوْلُهُ: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ولِإخْوانِنا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالإيمانِ ولا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أيْ غِشًّا وحَسَدًا وبُغْضًا.

واعْلَمْ أنَّ **هَذِهِ الآياتِ** قَدِ اسْتَوْعَبَتْ جَمِيعَ المُؤْمِنِينَ لِأنَّهم إمّا المُهاجِرُونَ أوِ الأنْصارُ أوِ الَّذِينَ جاءُوا مِن بَعْدِهِمْ،

تُبَيِّنَ أنَّ

مِن شَأْنِ مَن جاءَ مِن بَعْدِ المُهاجِرِينَ والأنْصارِ

أنْ يَذْكُرَ (السّابِقِينَ وهُمُ المُهاجِرُونَ والأنْصارُ) بِالدُّعاءِ والرَّحْمَةِ

فَمَن لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ بَلْ ذَكَرَهم بِسُوءٍ

كانَ خارِجًا مِن جُمْلَةِ أقْسامِ المُؤْمِنِينَ بِحَسَبِ نَصِّ هَذِهِ الآيَةِ

وقَدْ أخْرَجَ البُخارِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطّابِ أنَّهُ قالَ: أُوصِي الخَلِيفَةَ بَعْدِي بِالمُهاجِرِينَ الأوَّلِينَ أنْ يَعْرِفَ لَهم حَقَّهم ويَحْفَظَ لَهم حُرْمَتَهم، وأُوصِيهِ بِالأنْصارِ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدّارَ والإيمانَ مِن قَبْلِهِمْ أنْ يَقْبَلَ مِن مُحْسِنِهِمْ ويَتَجاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ.

٦- موقف المنافقين في المدينة:

بيَّنتِ الآيات الكريمة حالَ المنافقين، ووضَّحتْ موقفَهم، وتحالفهم مع إخوانهم من اليهود، وكشفت أيضاً موقفهم من المسلمين، وموقف اليهود ونفسيَّاتهم. قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ * لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ * لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ * كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ [الحشر: ١١ - ١٧].

الَّذِينَ نافَقُوا يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ، وعَبْدَ اللَّهِ بْنَ نَبْتَلَ، ورِفاعَةَ بْنَ زَيْدٍ، كانُوا مِنَ الأنْصارِ، ولَكِنَّهم نافَقُوا

يَقُولُونَ لِإخْوانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أهْلِ الكِتابِ﴾ مُسْتَأْنَفَةٌ لِبَيانِ المُتَعَجَّبِ مِنهُ، والتَّعْبِيرُ بِالمُضارِعِ لِاسْتِحْضارِ الصُّورَةِ أوْ لِلدَّلالَةِ عَلى الِاسْتِمْرارِ

يَقُولُونَ لإِخْوانِهِمْ وهَذِهِ الأُخُوَّةُ تَحْتَمِلُ وُجُوهًا:
أحَدُها: الأُخُوَّةُ في الكُفْرِ؛ لِأنَّ اليَهُودَ والمُنافِقِينَ كانُوا مُشْتَرِكِينَ في عُمُومِ الكُفْرِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ .
وثانِيها: الأُخُوَّةُ بِسَبَبِ المُصادَقَةِ والمُوالاةِ والمُعاوَنَةِ. ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ من ديارنا في صحبتكم
﴿ وَلاَ نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ أي: في شأنكم، ومن أجلكم،
﴿أَحَدًا﴾ ممَّن يريد أن يمنعنا من الخروج معكم، وإن طال الزَّمان، ثمَّ لـمَّا وعدوهم بالخروج معهم وعدوهم بالنُّصرة لهم، فقالوا: ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ ﴾ أي: وإن قاتلكم المسلمون
﴿ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ أي: على المسلمين؛ الَّذين، يقاتلونكم ثمَّ كذَّبهم الله تعالى، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ فيما وعدوهم به من الخروج معهم والنَّصر لهم ولما أجمل - سبحانه وتعالى - كَذِبَ المنافقين فيما وعدوا به بني النضير؛ فصَّل ما كذبوا فيه، وزاد في تأكيد الرَّدِّ عليهم، فقال تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لاَ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ أي: لئن أَخْرَجَ المسلمون اليهودَ؛ فإنَّ المنافقين لن يخرجوا معهم.
وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ قُوتِلُوا لاَ يَنْصُرُونَهُمْ﴾ أي: ولئن قاتل المسلمون اليهود؛ فإن المنافقين لن ينصرونهم. وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ ﴾. أي: ولئن نصر المنافقون اليهود - على سبيل الفرض -، فإنَّ نصرهم لن يضرَّ المسلمين شيئاً؛ بل إنَّ الفريقين سيولُّون الأدبار أمام المسلمين، ثمَّ لا ينصر الله بني النَّضير. ثمَّ قرر القرآن الكريم حقيقةً قائمةً في نفوس اليهود، والمنافقين، قال تعالى: ﴿لأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾ أي: لأنتم يا معشر المسلمين! أشدُّ خوفاً، وخشيةً في صدور اليهود، والمنافقين من الله تعالى، فهم يخافونكم أكثر من خوفهم من الله تعالى، وهذه الحال منهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ ﴾ أي: لا يعلمون الله، وعظمته؛ حتَّى يخشوه حقَّ خشيته.
ثمَّ أكَّد - سبحانه وتعالى - هذه الحقيقة بصفاتٍ أخرى فيهم، فقال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ﴾فقد كشف - سبحانه وتعالى - عن حقائق نفسيَّة اليهود، فهم جبناء، لا يستطيعون أن يواجهوا المسلمين في مواطنَ مكشوفةٍ؛ بل لا يقاتلون إلا من وراء قراهم المحصَّنة بالخنادق، وجدرانهم، وحوائطهم الَّتي يتستَّرون مِنْ خلفها.
ثمَّ كشف القرآن عن بعض أسباب ضعفهم، وخورهم، فقال تعالى: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾
فهؤلاء اليهود في الظَّاهر تراهم مجتمعين صفّاً واحداً ضدَّ المسلمين،
لكنَّ الآية تبين: أنَّهم عكس ذلك في الحقيقة، فهم ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي: عداوتهم بعضهم لبعضٍ شديدةٌ ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ أيْ:تظن أنهم مُجْتَمِعِينَ عَلى أمْرٍ ورَأْيٍ ولكنَّهم في الحقيقة ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ أي:متفرقة
وقوله سبحانه ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ أي: بسبب أنَّهم قومٌ لا يعقلون الحقَّ، ولا يدورون معه، وإنَّما يدورون في ركاب الباطل.
وفي الآية تشجيعٌ لقلوب المؤمنين على قتال اليهود؛ لأنَّهم عرفوا من ربِّ العالمين، بأنَّ اليهود جبناء، ثمَّ بيَّن سبحانه أنَّ ما نزل ببني النَّضير من بلاءٍ بسبب غدرهم، قد نزل ما يشبهه بإخوانهم من بني قينقاع، فذاقوا جزاءَ خيانتهم، وغرورهم. قال تعالى: **﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾**
ثمَّ ضرب الله مثلاً آخر للمنافقين، الَّذين أَغْرَوْا بني النَّضير بالمقاومة ثمَّ خذلوهم عند المحنة،
الوبال : الفساد

والوَبالُ أصْلُهُ: وخامَةُ المَرْعى المُسْتَلَذِّ بِهِ لِلْماشِيَةِ يُقالُ: كَلَأٌ وبِيلٌ، إذا كانَ مَرْعًى خَضِرًا (حُلْوًا) تَهَشُّ إلَيْهِ الإبِلُ فَيُحْبِطُها ويُمَرِضُها أوْ يَقْتُلُها، فَشُبِّهُوا في إقْدامِهِمْ عَلى حَرْبِ المُسْلِمِينَ مَعَ الجَهْلِ بِعاقِبَةِ تِلْكَ الحَرْبِ بِإبِلٍ تَرامَتْ عَلى مَرْعًى وبِيلٍ فَهَلَكَتْ وأُثْبِتَ الذَّوْقُ عَلى طَرِيقَةِ المَكَنِيَّةِ وتَخْيِيلِها، فَكانَ ذِكْرُ ذاقُوا مَعَ وبالٍ إشارَةً إلى هَذِهِ الِاسْتِعارَةِ.فقال تعالى: يعني: مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالَّذين وعدوهم النَّصر من
﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾، وقول المنافقين لهم: ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾
ثمَّ لـمَّا حقَّت الحقائق، ووقع عليهم الحصار، والقتال، تخلَّوا عنهم، وأسلموهم للتَّهلكة، مثالهم في هذا كمثل الشيطان إذ سَوَّل للإنسان - والعياذ بالله - الكفر، فإذا دخل فيما سوَّله له تبرَّأ منه، وتنصَّل، وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾. وقولـه: أي: فكان عاقبة الامر ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾، وهو الشَّيطان، والفاعل له، وهو المستجيب للشَّيطان: أنَّهما في النار خالدين فيها أبد الابدين ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ أي: جزاء كلِّ ظالمٍ.

٧- وعظُ المؤمنين، وتذكيرهم باليوم الآخر، وبيانُ الفرق الشَّاسع بين أصحاب الجنَّة، وأصحاب النار:

قال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [الحشر: ١٨ - ٢٠].**

﴿نسوا الله﴾ أي: نسوا أمره ﴿فأنساهم﴾ العمل بطاعته
وهذه الآيات الكريمةُ أصلٌ في محاسبة العبد نفسه، وأنَّه ينبغي له أن يتفقَّدها.
ومع الانتصارات العظيمة الَّتي حقَّقها المسلمون بالقضاء على يهود بني النَّضير،
أخْرَجَ ابْنُ أبِي شَيْبَةَ، ومُسْلِمٌ، والنَّسائِيُّ، وابْنُ ماجَهْ، وابْنُ مَرْدُويَهْ، عَنْ جَرِيرٍ قالَ: «كُنْتُ جالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأتاهُ قَوْمٌ مُجْتابِي النِّمارِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، لَيْسَ عَلَيْهِمْ أُزُرٌ ولا شَيْءٌ غَيْرُها، عامَّتُهم مِن مُضَرَ، فَلَمّا رَأى النَّبِيُّ ﷺ الَّذِي بِهِمْ مِنَ الجَهْدِ والعُرْيِ والجُوعِ تَغَيَّرَ وجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قامَ فَدَخَلَ بَيْتَهُ، ثُمَّ راحَ إلى المَسْجِدِ، فَصَلّى الظُّهْرَ، ثُمَّ صَعِدَ مِنبَرَهُ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وأثْنى عَلَيْهِ، ثُمَّ قالَ: «أمّا بَعْدُ - ذَلِكم - فَإنَّ اللَّهَ أنْزَلَ في كِتابِهِ: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ولْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ واتَّقُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾ ﴿ولا تَكُونُوا كالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأنْساهم أنْفُسَهم أُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾ ﴿لا يَسْتَوِي أصْحابُ النّارِ وأصْحابُ الجَنَّةِ أصْحابُ الجَنَّةِ هُمُ الفائِزُونَ﴾ تَصَدَّقُوا قَبْلَ ألّا تَصَدَّقُوا، تَصَدَّقُوا قَبْلَ أنْ يُحالَ بَيْنَكم وبَيْنَ الصَّدَقَةِ، تَصَدَّقَ امْرُؤٌ مِن دِينارِهِ، تَصَدَّقَ امْرُؤٌ مِن دِرْهَمِهِ، تَصَدَّقَ امْرُؤٌ مِن بُرِّهِ، مِن شَعِيرِهِ، مِن تَمْرِهِ، لا يَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الصَّدَقَةِ، ولَوْ بِشِقِّ التَّمْرَةِ» فَقامَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ بِصُرَّةٍ في كَفِّهِ، فَناوَلَها رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وهو عَلى مِنبَرِهِ، فَعُرِفَ السُّرُورُ في وجْهِهِ فَقالَ: «مَن سَنَّ في الإسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِها كانَ لَهُ أجْرُها ومِثْلُ أجْرِ مَن عَمِلَ بِها لا يَنْقُصُ مِن أُجُورِهِمْ شَيْئًا، ومَن سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِها كانَ عَلَيْهِ وِزْرُها ومِثْلُ وِزْرِ مَن عَمِلَ بِها لا

يَنْقُصُ مِن أوْزارِهِمْ شَيْئًا» فَقامَ النّاسُ فَتَفَرَّقُوا، فَمِن ذِي دِينارٍ، ومِن ذِي دِرْهَمٍ، ومِن ذِي طَعامٍ، ومِن ذِي، ومِن ذِي، فاجْتَمَعَ، فَقَسَمَهُ بَيْنَهم» وفي هذا الحديثِ يَرْوي جَريرُ بنُ عبدِ اللهِ البَجَلِيُّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّهم كانوا عندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم في أوَّلِ النَّهارِ، «فجاءهُ قَومٌ حُفاةٌ»، جمْعُ حافٍ، وهو مَن لا يكونُ في رِجلِه خُفٌّ ولا نَعلٌ ولا حِذاءٌ، فلا يَلبَسون شيئًا في أقدامِهم، «عُراةٌ» كأنَّهم يَغلِبُ عليهم العُرْيُ، وكأنَّهم يَلبَسون بعضَ الثِّيابِ الَّتي تُغطِّي عَوراتِهم مع تَكشُّفِ باقي الجسَدِ، «مُجْتَابِي» الاجتيابُ: التَّقطيعُ والخَرْقُ، «النِّمارِ» كِساءٌ مُخطَّطٌ مِن صُوفٍ، فيه سَوادٌ وبَياضٌ، كأنَّها أَخَذَت مِن لَونِ النَّمِرِ، أي: لابِسِي النِّمارِ المُخرَّقةِ، وعبَّر عن لُبسِهم بالاجتيابِ لكونِهم قدْ لَفُّوها على جَسدِهم، فجَعَلوا أنفُسَهم في وَسطِها، أو لكونِهم قدْ خَرَقوها مِن وَسطِها وأدْخَلوا أنفُسَهم فيها، أو يَلبَسون «العَبَاءَ» جمْعُ عَباءةٍ، وهي نوعٌ مِن الثِّيابِ، وكلُّ هذا عَلاماتٌ على فَقرِهم الشَّديدِ، وكان مِن صِفتِهم أيضا أنَّهم يُعلِّقون السُّيوفَ على أعناقِهم، كلُّهم مِن قَبيلةِ مُضَرَ، وهي قَبيلةٌ عَربيَّةٌ كُبرى، وفي رِوايةٍ: أنَّهم كانوا أعرابًا، جمعُ أعرابيّ، وهو الَّذي يَسكُنُ الصَّحراءِ مِن العرَبِ، فلمَّا رآهمُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم على تلك الحالِ، تغيَّر وجْهُه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم، وظَهَر عليه آثارُ الحُزنِ؛ لِمَا رَأى بهم مِن الفقرِ الشَّديدِ، فدخَل بيْتَه ثمَّ خرَج إلى صَلاةِ الظُّهرِ حِين دخَلَ وقْتُها، كما في رِوايةٍ أُخرى، فأمَرَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم مُؤذِّنَه بِلالَ بنَ رَباح رَضِيَ اللهُ عنه، فأذَّن للصَّلاةِ، ثمَّ أقام لها، فصلَّى النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بأصحابِه رَضِيَ اللهُ عنهم، وبعْدَ الانتهاءِ مِن الصَّلاةِ صَعِد المِنبرَ فخطَب، وفي رِوايةٍ أُخرى: «صَعِدَ مِنْبرًا صَغِيرًا، فحَمِدَ اللهَ وأَثْنَى عليه، ثُمَّ قالَ: أَمَّا بَعْدُ» وهي كَلمةٌ يُفصَلُ بها بيْن الكلامينِ عندَ إرادةِ الانتقالِ مِن كَلامٍ إلى غيرِه، والمعنى: أقولُ بعْدَ ما تَقدَّمَ مِن التَّشهُّدِ والثَّناءِ على اللهِ سُبحانه وتعالَى، فقَرأ قوْلَ اللهِ تعالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]، وهي أوَّلُ سُورةِ النِّساءِ، وفيها: يُنادي اللهُ عزَّ وجلَّ على عبادِه ويَأمُرُهم بالتَّقوى، وذلك بفِعلِ أوامرِه واجتنابِ نَواهيهِ، فهو الَّذي خلَقَهم مِن نفْسٍ واحدةٍ، وهو أبُوهم آدمُ، وخلَقَ مِن آدَمَ زوْجَه حوَّاءَ أُمَّهم، ونشَرَ منهما في أقطارِ الأرضِ بَشرًا كَثيرًا ذُكورًا وإناثًا، ثمَّ أعاد سُبحانه عليهم الأمرَ بالتَّقوى تأكيدًا على أهمِّيَّتِها للمسلِمِ، الَّذي إذا سَأل به بعضُكم بعضًا أجابه فيما سَأل، فكذلك فعَظِّمُوه بطاعتِكم إيَّاه فيما أمَرَكم، واتَّقُوا قَطْعَ الأرحامِ الَّتي تَربِطُ بيْنكم، إنَّ اللهَ كان عليكم رَقيبًا، فلا يَفُوتُه شَيءٌ مِن أعمالِكم، بلْ يُحصِيها ويُجازِيكم عليها.

ثمَّ قرَأ عليهم النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قوْلَ اللهِ تعالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر: ١٨]، يخُصُّ اللهُ عزَّ وجلَّ النِّداءَ في تلك الآيةِ بالمؤمنينَ، وبعْدَ أنْ أمَرَهم سُبحانه بالتَّقوى، دَعاهم إلى بَذْلِ ما يَحفَظُهم في الآخرةِ مِن الأعمالِ الصَّالحاتِ.

ثمَّ وَعَظَهم وحثَّهم صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم في خُطبتِه على الصَّدقةِ، وقال: «تَصَدَّقَ رَجُلٌ» خبَرٌ بمَعنى الأمرِ، أي: لِيَتصدَّقْ رجُلٌ حسَبَ استطاعتِه «مِن دِينارِه» الذَّهبيِّ أو «مِن دِرْهمِه» الفِضِّيِّ أو «مِن ثَوبِه» أو «مِن صاع بُرِّه» وهو القمحُ، أو «مِن صاع تَمرِه»، وهذا مِن التَّصدُّقِ بالطَّعامِ، والصَّاعُ نوعٌ مِن المَكاييلِ الَّتي كانت تُستخدَمُ في عَهدِه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم، لا يُرادُ به هنا حَقيقتُه، بلْ حثٌّ لهم على ما يُمكِنُ التَّصدُّقُ به، «حتَّى قال: ولو بشِقِّ تَمرةٍ»، أي: نصْفِ تَمرةٍ.

والفيء يأتي القرآن الكريم في هذه الحادثة؛ ليؤكِّد على معاني العقيدة، وأصولها، والتَّذكير باليوم الآخر، والاستعداد له، فيأمر المولى - عزَّ وجلَّ - أفراد المجتمع المسلم بما يوجبه الإيمان، ويقتضيه من لزوم التَّقوى سرّاً وعلانيةً، ومراعاة ما أمرهم الله به من أوامره، وحدوده، وينظروا ما لهم، وما عليهم، وماذا قدموا من الأعمال، وهل تنفعهم، أو تضرُّهم يوم القيامة؟

ولَمّا انْقَضى في هَذِهِ السُّورَةِ وصْفُ المُنافِقِينَ واليَهُودِ وعَظَ المُؤْمِنِينَ، لِأنَّ المَوْعِظَةَ بَعْدَ ذِكْرِ المُصِيبَةِ لَها مَوْقِعٌ في النَّفْسِ لِرِقَّةِ القُلُوبِ والحَذَرِ مِمّا يُوجِبُ العَذابَ، وكَرَّرَ الأمْرَ بِالتَّقْوى عَلى سَبِيلِ التَّوْكِيدِ

٨- **عظمة القرآن الكريم، وعلوُّ منزلته، وبعض صفات الله الجليلة الَّتى تليق به - سبحانه وتعالى:-**

أ - قال تعالى: **﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقرآن عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].**

ومعنى الآية: لو جعلنا في الجبل عقلاً، كما جعلنا فيكم أيُّها الناس! ثمَّ أنزلنا عليه القرآن، لخشع هذا الجبل، وخضع، وتشقَّق من خشية الله، وهذا تمثيل لعلوِّ شأن القرآن، وقوَّة تأثير ما فيه من المواعظ، والزَّواجر، وفيه توبيخٌ للإنسان على قسوة قلبه، وقلَّة تخشُّعه حين قراءة القرآن، وتدبُّر ما فيه من القوارع الَّتي تذلُّ لها الجبال الرَّاسيات، ثمَّ بيَّن - سبحانه وتعالى - أنَّه يضرب للنَّاس الأمثال، ويوضِّح لعباده الحلال، والحرام؛ لأجل أن يتفكَّروا في آياته، ويتدبَّروها؛ لأن التفكير فيها يفتح للعبد خزائن العلم، ويبيِّن له طريق الخير، والشَّرِّ، ويحثُّه على مكارم الأخلاق، ومحاسن الشِّيم، ويزجره عن مساوئ الأخلاق؛ فلا أنفع للعبد من التفكُّر في القرآن، والتدبُّر لمعانيه.

ولعل ذلك المثل ردا على غدر بني النضير بأنهم يريدون ان ينزلوا حجر للقضاء على (رسول الله الذي يبلغ القرآن) فإن الخالق العظيم منزل القرآن(لو أنزل القرآن على جبل وليس حجر لرأيت الجبل خاشعا من القرآن فكيف تريدون قتل مبلغ القرآن بحجر

ب- وفي نهاية سورة الحشر تحدَّثت الآيات الكريمة عن بعض أسماء الله الحسنى، وأوصافه العلا. قال تعالى: **﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ)(هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ) * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ (الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ (الْخَالِقُ الْبَارِىءُ الْمُصَوِّرُ) لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].**

معنى القدوس : ولاسم الله القدوس معنيان، أما الأول فهو من القدس وهو الطهر، وفي القرآن على لسان الملائكة قالوا) :**وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**] (البقرة: ٣٠]؛ فأصل التقديس التطهير؛ أي نطهّرك عن النقائص وعن كل سوء، ونصفك بما يليق بعزك وجلالك من العلو والعظمة، وننسبك إلى ما هو من صفاتك، وننزهك عن الأدناس وعما أضاف إليك أهل الكفر مما يشين

أما المعنى الثاني: فالقدس هو البركة، وعليه فالأرض المقدسة هي المباركة

والخلاصة أن القدوس من أسماء الله -جل وعلا-،

وأن معناه: المبارك الطاهر المطهَّر المنزَّه عن كل عيب ونقص

وهكذا خُتِمتِ السُّورة الكريمة بما يليق بجلاله من صفاتٍ جليلةٍ، لكي يتربَّى المجتمع المسلم على تحقيق العبودية لله، ويتعرَّف إليه من خلال أسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وذلك لكماله العظيم، وإحسانه الشَّامل، وتدبيره العامِّ، وكلُّ إله غيره فإنَّه باطلٌ، لا يستحق من العبادة مثقال ذرَّةٍ، لأنَّه فقيرٌ، عاجزٌ، ناقصٌ، لا يملك لنفسه، ولا لغيره شيئاً.
ثمَّ وصف نفسه بعموم العلم الشَّامل، لما غاب عن الخلق، وما يشاهدونه، وبعموم رحمته؛ الَّتي وسعت كلَّ شيءٍ، ووصلت إلى كلِّ حيٍّ، ثمَّ كرَّر ذكر عموم ألوهيته، وانفراده بها، وأنَّه المالك لجميع الممالك، فالعالم العلويُّ، والسُّفليُّ، وأهله؛ الجميع مماليك للهِ، فقراء مُدَبَّرُون.
﴿الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ أي: المقدَّس السَّالم من كلِّ، نقص، المعظَّم، المُمَجَّد؛ لأنَّ القدُّوس يدلُّ على التَّنزيه من كلِّ نقصٍ، والتَّعظيم لله في أوصافه، وجلاله.
﴿الْمُؤْمِنُ﴾ أي: المصدِّق، وأنبيائه بما جاؤوا به بالآيات البينات، والبراهين القاطعات
﴿الْعَزِيزُ﴾ الَّذي يغالَب، ولا يمانَع، بل قد قهر كلَّ شيءٍ، وخضع له كلُّ شيءٍ.
﴿الْجَبَّارُ﴾ الَّذي قهر جميع، وأذعن له سائر الخلق؛وقِيلَ: هو مِنَ الجَبْرِ، وهو الإصْلاحُ. جَبَرْتُ العَظْمَ: أصْلَحْتُهُ بَعْدَ الكَسْرِ. الَّذي يجبر الكسير، ويغني الفقير.
﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ الَّذي له الكبرياء، المتنزِّه عن جميع العيوب، والظُّلم، والجور.
﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾وهذا تنزيهٌ عامٌّ عن كل وصفه به مَنْ أشرك به، وعانده.
﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ﴾ لجميع المخلوقات.
﴿الْبَارِئُ﴾ للمبروءات.
﴿الْمُصَوِّرُ﴾ للمصوّرات.
وهذه الأسماء متعلقةٌ بالخلق، والتَّدبير، والتَّقدير، وأنَّ ذلك كلَّه قد انفرد الله به، لم يشاركه فيه مشاركٌ ﴿لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ أي: له الأسماء الكثيرة جدّاً، الَّتي يحصيها، ولا يعلمها أحدٌ إلا هو، ومع ذلك فكلُّها حُسنى؛ أي: صفات كمالٍ، بل تدلُّ على أكمل الصِّفات، وأعظمها، لا نقص في شيءٍ منها بوجهٍ من الوجوه. ومن حسنها: أنَّ الله يحبُّها، ويحب مَنْ يحبُّها، ويحبُّ من عباده أن يدعوه، ويسألوه بها. ومن كماله، وأنَّ له الأسماء الحسنى، والصِّفات العليا: أنَّ جميع من في السَّموات؛ والأرض مفتقرون إليه على الدَّوام، يسبِّحون بحمده، ويسألونه حوائجهم، فيعطيهم من فضله، وكرمه، ما تقتضيه رحمتُه، وحكمته.
﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الَّذي يريد شيئاً إلا ويكون، ولا يكوّن شيئاً إلا لحكمةٍ ومصلحةٍ.
إنَّ معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، تتضمَّن أنواع التَّوحيد الثلاثة: توحيد الرُّبوبيَّة، وتوحيد الإلهيَّة، وتوحيد الأسماء والصِّفات، ولذلك تربَّى الصَّحابة على معرفتها، والعمل بها، فأنواع التَّوحيد هي رُوح الإيمان، ورَوْحُه، وأصله، وغايته، فكلَّما ازداد العبد معرفةً بأسماء الله، وصفاته؛ ازداد إيمانه، وقوي يقينه، فهذا العلم رسخ في قلوب الصَّحابة، فأوجب لهم خشية الله، ومعرفته حقَّ المعرفة، فعملوا بموجبها.

٩- تحريم الخمر:

حرّمت الخمر ليالي حصار بني النَّضيرفي ربيع الأوَّل، من السَّنة الرَّابعة من الهجرة، وقد خضع تحريم الخمر لِسُنَّة التَّدَرُّج،
وكان ذلك التَّحريم على مراحل معروفةٍ في تاريخ التَّشريع الإسلاميّ،

حتَّى نزلت الآيات الحاسمة في النَّهي عنها من سورة المائدة، وفي ختامها: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١] قال المؤمنون في قوَّةٍ، وتصميمٍ: قد انتهينا يا رب.!
وفي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيات لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]. فأمَّا الخمر، والميسر؛ فقد كان الأمر أمر عادةٍ، وألفة، والعادة تحتاج إلى علاج، فبدأ بتحريك الوجدان الدِّيني المنطقيّ التَّشريعيّ في نفوس المسلمين بأنَّ الإثم في الخمر، والميسر أكبرُ من النَّفع، وفي هذا إيحاءٌ بأنَّ تركهما هو الأولى،تلك كانت خطوة أولى لتحريم الخمر
ثمَّ جاءت الخطوة الثَّانية بآية سورة النِّساء: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].
والصَّلاة في خمسة أوقات، معظمها متقاربٌ، لا يكفي ما بينها للسُّكر، والإفاقة!
وفي هذا تضييقٌ لفرص المزاولة العمليَّة لعادة الشُّرب،
وكسرٌ لعادة الإدمان الَّتي تتعلَّق بمواعيد التَّعاطي؛ إذ المعروف: أنَّ المدمن يشعر بالحاجة إلى ما أدمن عليه من مسكرٍ، أو مُخَدِّرٍ في الموعد؛ الَّذي اعتاد تناوله،
فإذا تجاوز هذا الوقت وتكرَّر هذا التَّجاوز فترةَ حدِّ العادة؛
أمكن التغلُّب عليها، حتَّى إذا تمَّت هاتان الخطوتان؛
جاء النَّهي الجازم الأخير لتحريم الخمر، والميسر ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ ﴾ [المائدة: ٩١ - ٩٢]

١٠- لا يحيق المكر السَّيئ إلا بأهله:

كان مكر اليهود، وتامرهم على حياة الرَّسول عليه الصلاة والسلام والدَّولة الإسلاميَّة، في غاية الخسَّة، والوَضاعة، وكانوا يريدون من مكرهم، وغدرهم عِزَّةً، ورفعةً، ومجداً، وغلبةً، لكنَّ الله سَخِرَ منهم، ونَجَّى رسولَه عليه الصلاة والسلام والمسلمين مِنْ مكرهم، وأذلَّهم، وأخزاهم، فزال مجدُهم، وكسر غلبتهم، وخرَّب بيوتهم، ورحَّلهم عن ديارهم، ولم يكلِّف ذلك المسلمين اصطداماً مسلَّحاً، ولا قتالاً ضارياً، ولكنَّ الله قذف في قلوبهم الرُّعب، والفزع، فطلبوا النَّجاة بأرواحهم في ذلَّةٍ، وخزيٍ، مُخَلِّفين وراءهم ثروةً، وملكاً حازه المسلمون غنيمةً باردةً، وقد قال تعالى في شأنهم: **﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الأَبْصَارِ ﴾ [الحشر: ٢].**
هذه عاقبة المكر السَّيئ، والغدر المَشِين، وانظر بعد ذلك كيف أشار القرآن الكريم إلى مواطنِ العبرة في هذه الموقعة، وإلى هذا التَّهديد الَّذي أعلنه لكلِّ مَنْ يسلك سبل المكر المزري، والحقد المستبدِّ، وقال: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الأَبْصَارِ ﴾ [الحشر: ٢].
ويظهر لي من الآية الكريمة الاعتبار من وجوهٍ:

-أنَّ الَّذي يقفُ في وجه الحقِّ، ويصدُّ النَّاسَ عنه، ويطارد دعاة الحقِّ منهزمٌ لا محالة، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٢].
-الصِّراع بين الحقِّ، والباطل لا يتوقَّف، وباق حتَّى يرثَ اللهُ الأرضَ ومن عليها، وستكون للباطل جولاتٌ، وللحقِّ جولاتٌ؛ ولكنَّ العاقبة لأهل الحقِّ في نهاية المطاف.
-الاعتبار يكون بتجنُّب ما ارتكبه اليهود من خيانةٍ وغدرٍ، حتَّى لا يحدُثَ نفسُ المصير الَّذي حدث لهم من الهزيمة، والذُّلِّ والهوان

١١- لا إكراه في الدِّين:

كان في بني النَّضير أناسٌ من أبناء الأنصار قد تهوَّدُوا بسبب تربيتهم بين ظهراني اليهود، فأراد أهلوهم المسلمون منعهم من الرَّحيل معهم فأنزل الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].
روى أبو داود في سننه عن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: كانت المرأة تكون مِقْلاتَ، فتجعل على نفسها: إن عاش لها ولدٌ أن تُهَوِّدَهُ، فلـمَّا أُجليت بنو النَّضير، كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. [أبو داود (٢٦٨٢)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٩٨٢ و١٠٩٨٣)]..

وكان من أشرافهم الَّذين ساروا إلى خيبر: سَلاَّم بن أبي الحُقَيْق، ، وكنانة بن الرَّبيع بن أبي الحُقَيْق وحيي بن أخطب ، فلـمَّا نزلوها دان لهم أهلُها.

يرى المحقِّقون من المؤرِّخين: أنَّ **غزوة بني النَّضير، كانت بعد أُحدٍ** في ربيع الأوَّل من السَّنة الرَّابعة من الهجرة، وقد ردَّ ابنُ القيِّم على من زعم: أنَّ غزوة بني النَّضير كانت بعد بدرٍ بستة أشهرٍ [البخاري تعليقاً (٤١٨/٧)] بقوله: «وزعم محمَّد بن شهاب الزُّهريُّ: أن غزوة بني النَّضير كانت بعد بدرٍ بستة أشهرٍ،

وهذا وَهْمٌ منه، أو غلطٌ عليه، بل الَّذي لا شكَّ فيه: أنَّها بعد أُحدٍ،

والَّذي **كانت بعد بدر بستة أشهرٍ هي غزوة بني قينقاع، وقريظة بعد الخندق، وخيبر بعد الحديبية**».

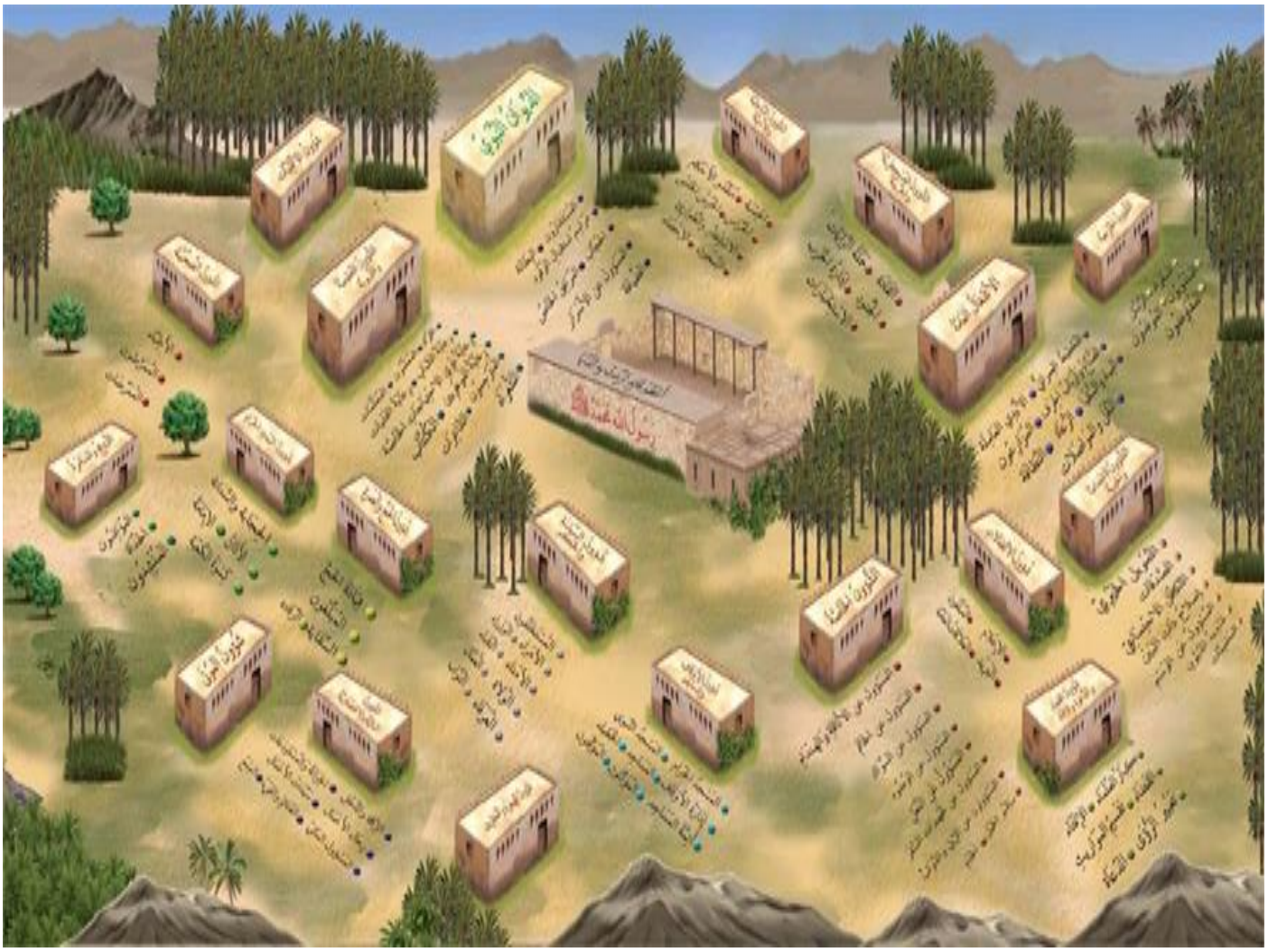

Map
Satellite
Hybrid
حائل
المدينة
نجد
مكة
اليمامة
جبل طويق
وادي الدواسر
100 mi
200 km
Imagery ©2006 NASA - Terms of Use
Turkey
Iraq
Iran
Egypt
Saudi Arabia
Sudan
Ethiopia